رؤيا جمالية ومعمارية في أعمال خزّافين عراقيين

October 26, 2013

رؤيا جمالية ومعمارية في أعمال خزّافين عراقيين

كل الأشياء تحرقها النار إلا التراب فإنه يصير صلباً

فيصل عبد الحسن

الرباط

الكثير من المعارض الفنية لخزافين عراقيين في داخل العراق وخارجه حملت الكثير من الرؤى الفنية المتجددة، بعضها نهل من التراث العراقي القديم، والقسم الآخر تأثر برؤى فنية غربية رات في أعمال الخزف جزءاً من التأثيث البصري للمكان الذي توضع فيه المشغولة الخزفية.

ومن الخزافين العراقيين المعاصرين، الذين أشتهروا برؤى ناضجة، عبرت عن عمق الموروث العراقي في أعمالهم، وبنت جسراً بين ما أبدعوا من أعمال، وما حفل به المتحف الوطني العراقي، والمتاحف العالمية من تحف فنية صنعها الأجداد في سومر وأكد وبابل وأشور، وغيرها من المدن التأريخية العراقية.

الخط العربي

وعدد من هؤلاء الفنانين المميزين، رعد الدليمي، د. فاروق نواف العيساوي، قاسم نايف جواد، وعمار صالح علاوي، وغيرهم ممن لا يتسع المجال لذكرهم جميعاً، هؤلاء اتسمت اعمالهم الخزفية، بالنضج الفني، والتجسيد الجمالي للتأريخ العراقي، وقد حملوا أعمالهم الفنية رسائل حضارية للآخر في غاية الجمال والأهمية.

وبعض الأعمال الفنية لهؤلاء الأربعة، التي قدموها في معارضهم الفردية والجماعية كانت مبتكرة وفريدة سواء كانت في موضوعاتها أم الأضافات إليها من فن الخزف، والخط العربي والرسم التشكيلي.

فتجد في جانب من جوانب اللوحة التشكيلية لديهم جداراً صقيلاً، أو جانباً من مشغولة خزفية تكاملت مع الجزء المرسوم في اللوحة التشكيلية، لتقدم للرائي شكلا جمالياً متجانساً بالرغم من عدم تشابه تقنيات كل فن، من الفنون المستخدمة كفن الخزف والفن التشكيلي وفن الخط العربي.

فقد دأب الفنان رعد الدليمي عبر معارضه العديدة على ابراز جانب الخط العربي في جسد المشغولة الخزفية، وبما يحمله الخط العربي من محمولات دينية وفكرية، وتحولت لديه أعمال الخزف في المرحلة الأخيرة من اعماله، إلى توصيل لفظ الجلالة " الله " بما يعنيه الاسم لدى اليهودي والمسيحي والمسلم من معاني الرحمة والجمال، والكرم والبركات.

وظهرت الآيات القرآنية في الكثير من مشغولاته، التي قدمها في معارضه منذ معرضه في كلية الهندسة ببغداد عام 1982، ومعارضه الأخرى في قاعة الأورفلي للفنون ببغداد عام 1996.

ومعارضه خارج العراق في المركز الثقافي الأردني بعمان 1991 وقاعة عالية للفنون 1992 وقاعة الأورفلي للفنون 1997 ومعرضه المشترك في دار الأوبرا المصرية عام 1995 . ومعارضه في قاعة حمورابي وقاعة الخانجي بحلب عام 1999 وقاعة السيد للفنون بدمشق عام2000 والمعارض الجماعية الأخرى التي شارك فيها الفنان رعد الدليمي طوال الفترة ما بعد 2002 التي أمتدت حتى معرضه المشترك الأخير عام 2013 بمناسبة بغداد عاصمة الثقافة والفنون.

الغيبة والحضور

المحمول الديني أستغرق من الفنان رعد الدليمي ولاسيما في أعماله الأخيرة كل جهده، ووضع فيه كل ماتعمله في فن صناعة فن الخزف، وما تعلمه من فنون الخط والتشكيل والتذهيب.

مما جعل لكل مشغولة من مشغولاته " هيبة فنية عميقة" تشعر الرائي إليها أنه أمام قضية أكبر من أن تكون أنه ينظر إلى مشغولة خزفية متأملاً الناحية الجمالية فيها فقط بل أنه يتأمل أفكاراً في غاية العمق عن الوجود والعدم الدنيا والآخرة، الموت والبعث، الغيبة والحضور. فتعجب بها الحواس والعقل، أن الإعجاب سيكون أكبر من كل ذلك، وسيكون مقروناً بما تمتلكه كل نفس رائية، عاقلة، مؤمنة، من حب " لله " تعالى ومن مشاعر روحية عميقة أتجاه الوجود، وعالم الغيب.

ويبدو أن أعمال الفنان رعد الدليمي صارت جزءاً لا يتجزأ مما يعتقده الفنان عن الحياة والموت، وعالم الغيب والشهود.

وصارت الأيحاءات الجمالية نابعة من عمق ميتافيزيقي، لا حد لجماله، ورعد الدليمي يبذل كل ما في جهده لبلوغ الجمال المستحيل، لكنه في كل مشغولة يشعر أنه بلغ درجة واحدة فقط، للتعبير عما يخالجه من مشاعر جياشة وأشواق لبلوغ الكمال عند البدء في العمل في أي مشغولة جديدة.

والفنان رعد الدليمي، هو مجموعة معارف متكاملة، كلها صبت لتعطي هذا الفنان اللمسة التي يضعها على التراب والطين ليخرج لنا كل هذا الجمال، الذي نراه في مشغولاته، فهو حصل على البكالوريوس في الهندسة المدنية من جامعة بغداد عام 1986 وصار عضواً في جمعية الخطاطين العراقيين بعد سنوات قليلة من تخرجه من كلية الهندسة، وعضواً في جمعية التشكيليين العراقيين وعضواً في رابطة الفنانين التشكيليين الأردنيين وعضواً لمؤسسة فكر بأمريكا.

مساقط معمارية

خزاف عراقي آخر هو قاسم نايف جواد، طمح في مشغولاته لتشكيل رؤيا معمارية جمالية، والفنان جاء إلى عالم الخزف بموهبة حقيقية، مقرونة بدراسة أكاديمية، فقد حصل على الماجستير من كلية الفنون الجميلة ببغداد في فن الخزف ويعمل حالياً مدرساً في هذا الفرع في ذات الكلية التي تخرج منها. إلا ان أكاديميته في بعض مشغولاته كانت تكتفه، وتمنع أنطلاق كامل الجمال من روحه ليسبغه على عمله، فكما العروض والوزن والقافية تكتف الشاعر في بعض المواضع، وتمنع أنطلاقته الحرة في نقل أحساساته، فإن الجانب المهني لدى الفنان حد من انطلاق كامل موهبته في مشغولاته.

وجاءت أعماله تطبيقات لمرائي ومساقط معمارية، أتصفت بالجمال المهني والدقة الهندسية، التي تبهر الرائي وتشغل المكان بما هو ملفت للنظر.

وللفنان العديد من الإسهامات أبتداْ بمهرجان بغداد العالمي الثاني 1988، ومهرجان بغداد العالمي الثالث 2002، ومعرض اليوبيل الذهبي لجمعية الفنانين التشكيليين / بغداد 2007.

وأسهم الفنان جواد في أغلب المعارض الوطنية التي أُقيمت داخل القطر من الفترة 1988 إلى آخرها عام 2013 بمناسبة إعلان بغداد عاصمة للثقافة والفنون.

وأيضاً اسهم الفنان جواد في بعض معارض الدول العربية، كمعرض الفن العراقي المعاصر في عام 1991 بالعاصمة الأردنية، ومعرض الفن العراقي المعاصر في عمان / الأردن أيضاً في عام 1993.

حرق التراب

بينما نهل الفنان د. فاروق نواف العيساوي، من المخزون المعرفي والثقافي العراقي القديم، ليقدم أجمل ما لديه من رؤيا جمالية ومعمارية ممكنة في كل مشغولة قدمها في معارضه العديدة في جمعية التشكيليين العراقيين ببغداد أبتداء من عام 1986 وحتى عام 2010، والمعرض المشترك الآخير في وزارة الثقافة العراقية بمناسبة إعلان بغداد عاصمة للثقافة والفنون عام 2013.

والعيساوي أحد أساتذة كلية الفنون الجميلة بجامعة بغداد، وقد حصل على الدكتوراة من الكلية نفسها عام 2003 في فلسفة الفنون التشكيلية فرع الخزف.

كل الأشياء ممكن أن تحرقها النار إلا التراب فانه يصير أكثر صلابة وجمالاً، هذا ما تعلمه الخزافون العراقيون من خلال تعاملهم مع التراب والطين، كأجدادهم السومريين والأكديين والأشوريين ليصنعوا الحضارة والجمال في بلاد مابين النهرين.